السنة السابعة والأربعون بعد المئة

فيها خلع أبو جعفر ابن أخيه عيسى بن موسى من العهد، وولّاه المهدي، وجعل عيسى بعدَه، وكان أبو العباس قد عهدَ إلى أبي جعفر، وبعده إلى عيسى بن موسى ـ وأقرَّه أبو جعفر على ذلك ـ وولّاه الكوفة وأعمالَها، وقدَّمه على الجيوش، وقتل عيسى محمداً وإبراهيمَ ابني عبد الله بن حسن.

وكان أبو جعفر لعيسى مكرماً، وكان إذا دخل عليه أجلسه عن يمينه، وأجلس محمداً المهدي عن يساره، فلمّا رأى أبو جعفر من ولده أمارات الصلاح، وأنَّه يصلحُ للأمر، وعزمَ على خلع عيسى وتوليته بعد محمد المهدي، وكان يستحي من عيسى، فأشار إليه أبو جعفر يوماً بألطف إشارةٍ، فصرخ عيسى ـ وكان قد فهم ذلك ـ فقال: [فـ] أين العهودُ والمواثيق والطَّلاق والعِتَاق والحجُّ ماشياً وصدقةُ الأموال؟ فلم يجبه، فأعرضَ عنه أبو جعفر، وقال لابنه محمد: اجلس عن يميني في مجلس عيسى، وكان يجلسُ فيه، وإذا دخلَ عيسى بعد محمد جلسَ دون محمد، ولا يجلس عن يسار أبي جعفر، وأبو جعفر يتغيَّظُ من ذلك، وعيسى صابرٌ لا ينطقُ بحرف، ثم زاد هوانُ أبي جعفر لعيسى، فأمرَ أن يحفر الحائط الذي خلف عيسى كان يقعد عنده، ثمَّ يؤذن له على أبي جعفر، فيقوم فيدخل عليه والترابُ على قلنسوته وطيلسانه لا يغيِّره، فيقول له أبو جعفر [ما هذا؟ فلا يجيبه، فيقصد أبو جعفر](١) أن يشكو، وهو لا يتكلَّم.

وأمر أبو جعفر عيسى بن علي أن يدخل بينه وبين عيسى بن موسى، فيقال: إن عيسى ابن علي سقى عيسى بن موسى سُمًّا، فمرضَ وتناثرَ شعرُه، وطلبَ من أبي جعفر أن يمضيَ إلى الكوفة، فقال له: أقم ها هنا، فقال: الكوفة أصلح، وكان ابن بختيشوع قد قال لعيسى: ما يمكنني أن أعالجـ[ـك] بحضرة أبي جعفر؛ لأنه لا آمنه على نفسي، فأذن أبو جعفر لعيسى في المسير إلى الكوفة، فسارَ وأقامَ يتمرَّض حتى برِئ، فقال أبو زياد يحيى بن زياد البُرْجُمي: [من المنسرح]

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).

أَفْلَتَ من شربةِ الطبيب كما ... أفلتَ ظبيُ الصَّريمِ من قبرِهْ[(١)]
من قانصٍ يُنْفِذُ الفريص[(٢)] إذا ... رُكِّبَ سهمُ الحتوفِ في وترِهْ
دافعَ عنك المليك صولته ... صولة ليث يزيد في خُمُرِهْ
حتى أتانا وفيه داخِلةٌ ... تُعرفُ في سمعِه وفي بصرِهْ
أزعرَ قد طارَ عن مفارِقِه ... وحف أثيث النباتِ من شَعَرِهْ

وكان عيسى لما سار من بغداد إلى الكوفة خرج أبو جعفر في إثره، فأقامَ أيَّاماً بالحيرة يُجْرِي الخيلَ في الحلبة، وعاد عيسى مِراراً، ورجع إلى بغداد.

وفي رواية أنَّ عيسى بن علي قال لأبي جعفر: إنما يمتنعُ عيسى بن موسى من البيعة للمهديّ؛ لأنَّه يتربَّصُ هذا الأمرَ لابنه موسى، فموسى هو الذي يمنعُه، فقال أبو جعفر لعيسى بن علي: فكلِّم أنت موسى بن عيسى فكلَّمه، فلم يجبه وامتنع، فتهدده، فخاف أن ينقل عيسى بن علي مجلسَه إلى المنصور فجاء إلى العباس فاستكتمَه ما يريد أن يقوله، فقال له: قل غير خائف، قال: قد علمتَ ما يلاقي هذا الشيخ أبي من الذلّ وصنوف الهوان، وقد رأيتُ أن أفدي أبي بنفسي، تقول لأمير المؤمنين إذا اجتمعنا تقول له: يا عيسى قد علمتُ سببَ ضنِّك بهذا الأمر عن المهدي؛ لعلوِّ سنِّك ودنوِّ أجلك، وإنما تَضنُّ به لأجلِ ابنك موسى، أفتراني أبقي ابنك بعدك، فيلي على ابني؟ كلا والله، ولآتين على نفس ابنك وأنت تنظر، فإن أجابَ فعسى يجيب من خوفه عليّ، فقال له العباس: يا ابنَ أخي، جزاك الله خيراً، فلقد فديتَ أباك بنفسك.

ثمَّ أتى أبا جعفر فأخبره، فقال: جَزى الله موسى خيراً، وسوف أفعلُ ما أشارَ به.

وجاء عيسى بن موسى فدخلَ على أبي جعفر، وعمومتُه وأهلُه عنده، فقال له: يا عيسى أعلم أنك إنَّما تريدُ هذا الأمر لابنك هذا المشؤوم عليك وعلى نفسه، فقال عيسى بن علي: البول البول، فقال أبو جعفر: ألا ندعو لك إناءً فتبول فيه، فقال: في مجلس أمير المؤمنين، ذاك ما لا يكونُ أبداً، وقام عيسى بن علي إلى أقرب البلاليع،

---

(١) كذا في (ب) و(خ). وفي أنساب الأشراف ٣/ ٢٨٨، وتاريخ الطبري ٨/ ١١، وأشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق ص٣٠٩: قتره.

(٢) الفريص: أوداج العنق. القاموس (فرص). وتحرفت في أشعار أولاد الخلفاء ص٣١٠ إلى: من قابض يقبض العريض.

obeikandi.com

فقال عيسى بن موسى لابنه موسى: قم مع عمِّك، فاجمع عليه ثيابه، فقام موسى من ورائه فجمعَ ثيابه وعيسى لا يعلم، ثم علم فقال: من هذا؟ قال: موسى بن عيسى[١]، [فقال]: بأبي أنت، والله إنكما لأحقُّ بهذا الأمر، ولكن المرء مغرًى بما تعجَّل، قال موسى: فقلت في نفسي: قد أمكنني والله من مقاتله، وهو الذي يغري أبا جعفر بي وبأبي، والله لأقتلنَّه بما قال. ورجع موسى إلى أبيه عيسى فأخبره بما قال عيسى بن علي، وقال: إن هذا قد قتلني وإيَّاك، فدعني أخبر أبا جعفر بما قال ليقتله ويشفي صدورنا منه، فقال له أبوه: أفٍّ لك، ائتمنك عمُّك على مقالةٍ أراد أن يَسرَّك بها فجعلتَها سبباً لهلاكه؟ لا يسمعن هذا منك أحد.

وأعاد أبو جعفر كلامَه على عيسى بن موسى، فلم يجبه، فقال أبو جعفر: يا ربيع، اخنق موسى بحمائل سيفه، فقام فجعلَ يخنقُه خنقاً رويداً، وموسى يصيح: الله الله فيَّ يا أمير المؤمنين، فوالله إني لبعيدٌ مما تظنُّ، والمنصورُ يقول: اشدد يا ربيع، والربيع يوهمه أنه يريد تلفه، وهو يرخي خناقه وموسى يصيح: الله الله فيّ.

فلمَّا رأى ذلك عيسى بن موسى قال لأبي جعفر: والله ما كنتُ لأظنُّ أنَّ الأمرَ يبلغُ بك هذا كلَّه، فوالله ما أرى أن يقتل عبدٌ من عبيدي بسبب هذا الأمر، فكيف بولدي! وقد علمتَ ما فعلتُ معك، أخذت لك البيعة وأنت غائب، وحفظتُ عليك الخزائن، وقتلت إبراهيم ومحمد ابني عبد الله، وفعلت وفعلت، وأمَّا إذا أبيتَ فإنِّي أشهدُك أنَّ نسائي طوالق، وعبيدي أحرار، وما أملك في سبيل الله، وهذه يدي بالبيعة لمحمد المهدي، واصرف أموالي ومماليكي فيمن شئت، فقال له أبو جعفر: إنَّك قد قضيت حاجتي كارهاً، ولي حاجة أحبُّ أن تقضيها طائعاً، فتسلِّي بها ما في نفسي من الحاجة الأولى، قال: وما هي؟ قال: تجعلُ الأمرَ من بعد المهدي لنفسك، فقال: ما كنتُ لأدخلَ فيها بعد إذ خرجتُ منها، فلم يدعه ومن حضر حتى قال: فأميرُ المؤمنين أعلم، ثم خرج عيسى من عند أبي جعفر.

وكان أبو[٢] جعفر لمَّا عزمَ على البيعة لابنه، وامتنع عيسى وعرف الجند فكان

---

(١) فوقها في (خ): كذا، وما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٣.

(٢) هذه رواية أخرى فيما جرى بين المنصور وعيسى بن موسى. انظر تاريخ الطبري ٨/ ١٤.

عيسى إذا ركب أسمعوه ما يكره فشكاهم إلى أبي جعفر، فتقدَّم إلى الجند بأن لا يؤذوه، وقال: عيسى جلدة ما بين عيني، ومن آذاه قتلته، فكانوا يكفُّون ثم يعودون، ثم إنَّ أبا جعفر كتبَ إليه كتاباً طويلاً يذكرُ فيه ما كانوا فيه على أيام بني أمية، وأنَّ الله أنقذهم ونصرَهم عليهم، ثم قال في آخره: وإنَّه لما نشأ هذا الغلام ـ يعني المهدي ـ قذفَ الله في قلوب شيعتنا وأنصارنا محبَّته، وأشربَها مودَّته، فصاروا لا يذكرون إلَّا فضلَه، وهم لا ينوهون إلَّا باسمه، فلمَّا رأى أميرُ المؤمنين ما قذفَ الله في قلوبهم من ذلك علمَ أنَّ الله تعالى تولَّى ذلك، وأنَّه ليس لأحدٍ فيه من العباد صنعٌ، فلم يجد بدًّا من متابعتهم[1] واستصلاح قلوبهم، فأحبَّ أن يعلمَك ذلك؛ ليكون ابتداؤه من قِبَلك؛ لتعلم شيعتنا وأنصارُنا من أهل خراسان أنَّك أسرعتَ إلى ما أحبُّوا، والسلام.

فكتب إليه عيسى كتاباً طويلاً منه: أما بعد، فإنَّني وصلني كتابُك، تذكرُ فيه ما أجمعتَ عليه من خلاف الحقّ، وركوب الإثم في قطيعة الرَّحِم، ونقضِ ما أخذَ الله عليه الميثاق من العامَّةِ بالوفاء للخلافة، والعهدِ من بعدك؛ لتقطعَ ما أمر الله به أن يوصل من حبله، وتفرِّقَ ما ألَّفه من جمعه، وتجمع [بين][2] ما فرق الله من أمره؛ مكابرةً لله في سمائه، ودخولاً[3] عليه في قضائه، ومتابعةً للشيطان في هواه، ومن كابرَ الله صرعَه، ومن نازعَه قمعَه، ومن خادعه خدعه، ومن توكَّل عليه منعَه، ومن تواضعَ له رفعه، إنَّ الذي أُسِّسَ عليه البناءُ، وحض عليه[4] الحذاءُ من الخليفة الماضي: عهدٌ ليس لأحدٍ من المسلمين رُخصة فيه، فلا يدعونَّك إلى الأمن من البلاء الاغترارُ بالبقاء، والترخيصُ في ترك الوفاء، فإنَّ من أجابَك إلى ترك ما وجب لي، واستحلَّ ذلك منِّي، لم يخرج إن أفتيته بالرخصة وأمكنته الرخصة[5] أن يكون إلى ذلك منك أسرع، ويكون بالذي أسَّست من ذلك أبْخَع، فاقبل العافية، وارض من الله بما صنع، وخذ ما أوتيت بقوة، وكن من الشاكرين، ومن راقبَ الله حفظَه، ومن أضمرَ خلافَه

(١) في (خ): مبايعتها.

(٢) ما بين حاصرتين من (ب).

(٣) في تاريخ الطبري ١٧/٨ : وحَوْلاً.

(٤) في تاريخ الطبري ١٧/٨ : وخُطَّ عليه.

(٥) في تاريخ الطبري ١٧/٨ : إذا أمكنته الفرصة، وأفتتْهُ الرخصة ....

خذلَه، ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ﴾ ولسنا مع ذلك نأمن حوادث الدهر وبغتات الموت قبلَ ما شرعت فيه من قطيعتي، فإنْ عجَّلَ بي أمرٌ كنتَ قد كُفيت مؤنةَ ما اغتممت به، وسترت منك قبيحَ ما أردتَ إظهاره، وإن بقيتُ بعدك لم تكن أوغرتَ صدري وقطعت رحمي، وغير خافٍ عنك أنَّ الشيطان عدوٌّ مضلٌّ مبين، ينزغ بين أهل الحق؛ ليفرِّق جمعهم، ويشتت كلمتَهم، ويوقع بينهم العداوة والبغضاء، ويتبرَّأ منهم عند حقائق الأمور، وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الحج: ٥٢]، ثمَّ وصفَ الذين اتقوا فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١] والسلام.

فلمَّا قرأ أبو جعفر كتابَه اشتدَّ غضبُه، وكتب إليه: اسْلُ عنها تَنل منها عوضاً(١) [في الدنيا](٢)، وتأمن من تبعاتها في الأخرى.

وعاد الجندُ إلى أذاه، فلم يمنعهم أبو جعفر، فكان إذا ركبَ مشوا حوله، ونالوا منه، وقالوا: أنت البقرةُ التي قال الله تعالى: ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٧١] وكانوا يجلسونَ على بابه يمنعون من يدخل إليه، فشكاهم إلى أبي جعفر، فقال: إنِّي أخافُ عليك وعلى نفسي، فإنَّ الجندَ قد أُشربوا حبَّ هذا الفتى، فلو قدَّمتَه بين يديك فكان بيني وبينك لكفُّوا، فأجابَ إلى خلع نفسه.

وفي روايةٍ أنَّ عيسى لما امتنعَ من الإجابة، قال أبو جعفر لخالد بن برمك: قد أعيتنَا وجوهُ الحيل، وضلَّ عنا الرأي في عيسى، فهل عندك حيلة؟ قال: نعم، ضمَّ إليَّ رجالاً من أعيان الشيعة، وأذهب إليه أكلمه، فضمَّ إليه ثلاثين رجلاً ومضى إليه، فدخل عليه فكلَّمه، وساعدَه القوم، وما أبقوا في الكلام بقية، وهو يقول: ما كنتُ أخلع نفسي، وقد جعلَ الله لي الأمرَ من بعده، فلمَّا خرجوا من عنده قال لهم خالد: ما عندكم؟ قالوا: تعيدُ على أمير المؤمنين ما قال، فقال: لا، بل نخبره أنَّه قد أجاب، ونشهد عليه أنه قد أنكر(٣)، فقالوا: هذا هو الصواب، فدخلُوا على أبي جعفر، فقالوا: قد

(١) في (خ) و(ب): غرضاً. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ١٩.
(٢) ما بين حاصرتين من (ب).
(٣) كذا في (خ) و(ب). وفي تاريخ الطبري ٨/ ٢٠ : ونشهد عليه إن أنكره.

أجاب، فكتب إلى الآفاقِ بالبيعة للمهدي، وبلغَ عيسى فأنكر، فشهدُوا عليه، ولم ينفع إنكارُه، وشكر أبو جعفر ذلك لخالد، وكان المهديُّ يصفُه بجزالة الرأي.

وفي رواية أنَّ أبا نُخَيلة عمل شعراً منه: [من الرجز]

إلى أميرِ المؤمنين فاغتدي ... سِيري إلى بحرِ البحور المزبدِ
إنَّ الذي ولَّاك ربُّ المسجدِ ... أمسَى وليُّ عَهدِها بالأسعدِ
عيسى فزحْلفها[1] إلى محمدِ ... حتى تؤدَّى من يدٍ إلى يدِ
فقد رضينا بالغلامِ الأمردِ[2]

من أبيات. وشاعت ووقعت في أفواه العالم والخدم، وبلغت أبا جعفر، فاستدعاه ومجلسُه غاصٌّ بالناس، وعيسى بن موسى حاضر والقواد، فقال: أنشدني أرجوزتَك، فأنشده، فأعجبته، وكتب له إلى الرَّيِّ بعشرة آلاف درهم، فأخذَ الخطَّ وخرج، فقال له عقال بن شبة: أمَّا أنتَ فقد سررت أمير المؤمنين، فإن صح الأمرُ نلتَ خيراً منه، وإلَّا فابتغ نفقاً في الأرض أو سلَّماً في السماء من عيسى بن موسى، فبعثَ عيسى في طلبه من ذبحَه وسلخَ وجهه، فلم يعرف.

وقال الهيثم: بلغَ أبا جعفر أرجوزةُ أبي نخيلة فاستدعاه، فأنشدَه إيَّاها بمحضر من عيسى بن موسى والأشراف والقوَّاد، فقال:

قل للأميرِ الواحدِ الموحَّدِ ... ليس وليُّ عهدِنا بالأرشدِ
عيسى فَزَحْلِفْها إلى محمدِ ... وناد بالبيعة جمعاً واحشدِ

فلمَّا انقضى المجلس دعاهُ أبو جعفر، وكتبَ له بالجائزة إلى الرَّيّ، وقال له: احذر عيسى بن موسى، فخرجَ إلى الرَّي وبعثَ عيسى وراءَه مولاه قطري ومعه جماعةٌ، فاغتالوه، فذبحوه وسلخوا وجهَه، ورموا جسدَه للنسورِ فأكلته.

وقيل: إنَّهم قتلوه بعد أخذ الجائزة.

وفي روايةٍ أنَّ سلمَ بن قتيبة قال لعيسى لمَّا امتنع: أيُّها الرجل، بايع، فإنَّه لم

---

(١) زحلفه: دحرجه ودفعه. القاموس (زحلف).

(٢) انظر الأبيات في تاريخ الطبري ٨/ ٢٢، وفيه اختلاف عما هنا.

يخرجك من الأمر، قد جعل لك الأمر بعد ابنه، فأجابَه وأتى سلم أبا جعفر فأخبره بذلك، فسُرَّ وحظي [سلم](١) عنده، وبايع عيسى، ووفَى له المهديُّ بما ضمن، وكان قد ضمنَ له عشرة آلاف ألف درهم، وثلاث مئة ألف درهم بين أولاده، وسبع مئة ألف لواحدة من نسائه، فوفى له أبو جعفر بجميع ذلك، وكساه كسوة قيمتُها ألف ألف درهم ومئتي ألف درهم(٢).

وكانت ولاية عيسى بن موسى على الكوفة وسوادها ثلاث عشرة سنة.

ولمَّا بويع المهدي قيل لشبيب بن شيبة(٣) التميمي: كيف رأيت؟ فقال: رأيت الداخلِ راجياً والخارج راضياً.

ولقي عيسى بن موسى شريك بن عبد الله القاضي، وكان قد عُزِل عن القضاء، فقال له: يا أبا عبد الله، أما رأيت قاضياً عُزِل؟ فقال: بلى، ورأيتُ وليَّ عهد خُلع.

ولما عهد أبو جعفر إلى المهدي أوصاه فكان مما قال له: استدم النعم بالشكر، والقدرة بالعفو، والطاعة بالتأليف، والنصر بالتواضع، ولا تُبرِم أمراً حتى تفكِّر فيه، فإنَّ فكر العاقل مرآته تريه حسناته وسيئاته، واعلم أن لا تعمر البلاد إلَّا بالعدل، ولا تدومُ نعمةُ السُّلطان إلَّا بالمال، وأقدر الناس على العفو أقدرُهم على العقوبة، وأعجزُ الناس مَنْ ظَلَمَ من هو دونه(٤).

وفيها غارت الترك مع استرخان الخوارزمي على تفليس، وكان بها حرب بن عبد الله الراوندي الذي تنسب إليه الحربية ببغداد، فخرجَ إليهم، فقاتلهم فقتلوه، وقتلوا خلقاً كثيراً من المسلمين وسبوا.

وفيها انتثرت الكواكب من أوَّل الليل إلى الصباح، فخاف الناس(٥).

وفيها حجَّ أبو جعفر، وعزم على قبض جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، فنجَّاه الله منه.

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب).
(٢) انظر أنساب الأشراف ٣/ ٢٨٩، وتاريخ الطبري ٨/ ٢٤ ـ ٢٥.
(٣) في (خ) و(ب): شبه. والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ٢٩١.
(٤) المنتظم ٨/ ١٠٥.
(٥) تاريخ الطبري ٨/ ٧.

قال الربيع: لَمَّا قدم المنصور في هذه الحجَّة المدينة قال: ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتيني به متعباً[١]، قتلني الله إن لم أقتله، فبعثت إليه فجاء، فقلت: يا أبا عبد الله، اذكر الله، فقد أرسَلَ إليك لأمرٍ عظيم، فاسترجع جعفر، فلمَّا دخل عليه قال له: أي عدوَّ الله! أنت الذي اتَّخذك أهلُ العراق إماماً يجبون إليك زكاة أموالهم، وتلحدُ في سلطاني، وتبغيه الغوائل؟ قتلني الله إن لم أقتلك.

فقال: يا أمير المؤمنين، إنَّ سليمان أُعطيَ فشكر، وأيوبَ ابتُلِيَ فصبر، وإن يوسفَ ظُلِم فغفر، وأنت من ذلك النسخ[٢].

فقال له أبو جعفر: إليَّ، و[أنت] عندي أبا عبد الله البريءُ الساحة، السليمُ الناحية، القليلُ الغائلة، جزاك الله من ذي رحمٍ أفضلَ ما جازى ذوي الأرحام عن أرحامهم.

ثمَّ تناول يده فأجلسَه معه على فرشه، ثم دعا بغاليةٍ فغلَّفه بيده، ثمَّ قال: في حفظ الله وكلاءته.

يا ربيع، الحق أبا عبد الله بجائزته وكسوته، فانصرفَ وتبعته وقلت له: قد رأيتُ العجبَ قبل دخولك وبعده، فأخبرني ما قلت. فقال: إنِّي دعوت بدعاء، قلت: اللهمَّ احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفني بركنك الذي لا يرام، وارحمني بقدرتك عليّ، لا أهلكُ وأنت رجائي، اللهم إنَّك أكبرُ وأجلُّ مما أخاف وأحذر، اللهمَّ بك أدفع في نحره، وأستعيذُ بك من شرِّه.

وكان العامل في هذه السنة على مكة والطَّائف عبد الصمد عمُّ المنصور، وعلى المدينة جعفر بن سليمان، وعلى الكوفة محمد بن سليمان، وعلى البصرة عقبة بن سلم، وعلى قضائها سوَّار بن عبد الله، وعلى مصر يزيد بن حاتم، وعلى خراسان نوَّابُ المهدي.

---

(١) كذا في (ب) و(خ)، والمنتظم ٨/ ١٠٦، وفي الفرج بعد الشدة للتنوخي ١/ ٣١٨ ـ وما سيأتي بين حاصرتين منه ـ: بغتة. وفي نسخة أشار إليها محققه: بغتاً.
ووقع في الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا (٧٥)، وفي نسخة بهامش الفرج بعد الشدة للتنوخي: تعباً.

(٢) كذا في (ب) و(خ)، وفي المنتظم ٨/ ١٠٦: الشيخ (تحريف). وفي الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا، والفرج بعد الشدة للتنوخي: السنخ. وهي الصواب. السنخ: الأصل. القاموس (سنخ)، وسبق الخبر في الصفحة ١٥١.

عبد الله بن علي

ابن عبد الله بن العباس عم المنصور، وأمه بربريَّةٌ يقال لها: هنَّادة، ولد سنة ثلاثٍ ومئة، وقيل: سنة اثنتين ومئة في آخر ذي الحجة، وهو الذي هَزم مروان بالزاب، وتبعه إلى دمشق، وفتحَ دمشق، وهدمَ سورها، وجعلَ جامعها سبعين يوماً لدوابه وجماله وخيله، وقتلَ من أعيان بني أمية ثمانين رجلاً بنهر أبي فُطْرس من أرض الرملة، وطلبَ الخلافةَ، وهزمه أبو مسلم إلى البصرة، وشفعَ فيه أخوتُه إلى أبي جعفر، وأخذُوا ماله أماناً منه، واستوثقوا بالأيمان والطلاق والعتاق والمشي حافياً إلى مكة، فلما وقفَ أبو جعفر عليه قال: كل هذا يلزمني إذا وقعتْ عيني عليه، فلمَّا جاؤوا به إليه حبسَهُ، ولم تقع عينُه عليه، ولمَّا حُبس قال: [من الوافر]

أضاعوني وأيَّ فتًى أضاعوا[١]

وبلغَ أبا جعفر فقال: نحن ما أضعناه، هو أضاعَ نفسَه، وأرادَ ضياع نفوسنا، فكانت نفوسُنا أعزَّ عندنا من نفسه.

وقال ابن عساكر: دخلَ عبد الله بن عليّ يومَ فتح دمشق من باب كيْسان، وعليه قميصٌ أسود وعمامةٌ سوداء، وهو متقلِّدٌ سيفاً أسود، فرأته امرأة، فقالت: ما أقبحَ وجهَك وأشد لونَ سوادِك[٢]. ودخلَ دمشق، وقتل منها من أعيانِ بني أمية أربع مئة رجل[٣].

وكان عبدُ الله قد خرجَ مع عبد الله بن معاوية [بن عبد الله][٤] بن جعفر، فأسره ابن ضبارة، وبعث به إلى مروان بن محمد، فقال: ما الذي أخرجك مع ابن معاوية؟ قال: إنما أتيتُه طالباً لرفده، فأحسنَ إليه وخلَّى سبيله، فلما كان يوم الزاب قال مروان: ما صفةُ الذي يحاربني؟ قالوا: ذاك المصفار[٥] اللون، الدقيقُ الذراعين، الذي عفوتَ عنه، فقال مروان: رب معروف يجني[٦] لصاحبه شراً، فذهب مثلاً.

---

(١) وتمامه: ليوم كريهةٍ وسداد ثغرِ. وهو لعبد الله بن عمرو العرجي. انظر الشعر والشعراء ١/ ١٢٥.

(٢) تاريخ دمشق ٣٦/ ٦٤٦ (طبعة مجمع اللغة) غير أن القائل فيه في هذا الخبر شيخ لا امرأة.

(٣) تاريخ دمشق ٣٦/ ٦٤٦.

(٤) ما بين حاصرتين من (ب). وانظر أنساب الأشراف ٣/ ١٢٧.

(٥) كذا في (ب) و(خ). وفي أنساب الأشراف ٣/ ١٢٧ : المصغَّر. وفيه أيضاً أنه شديد البياض حسن الوجه.

(٦) في أنساب الأشراف: يخبئ.

ومن شعر عبد الله: [من مجزوء الكامل]

الظلمُ يصرع أهلَهُ والظلم مرتعُه وخيمُ
ولقد يكون لك البعيـ ـدُ أخاً ويقطعُك الحميمُ

وقال أيضاً: [من البسيط]

بني أمية قد أفنيتُ آخرَكم فكيف لي منكم بالأوَّلِ الماضي
يطيِّبُ النفسَ أنَّ النار تجمعُكم عُوِّضتم من لظاها شرَّ مُعتاضِ
منيتُمُ لا أقالَ الله عثرتَكُم بليثِ غابٍ إلى الأعداءِ نهَّاضِ
إن [كان] غيظي لفوتٍ منكم فلقد رضيتُ منكم بما ربِّي به راضي[1]

ذكر وفاته:

حجَّ أبو جعفر في سنة سبعٍ وأربعين ومئة بعد أن عقدَ البيعة لابنه محمد وبعده لعيسى ابن موسى، فلما عزم على الحجّ دعا عيسى بن موسى سرًّا وقال له: إنَّ عبد الله بن عليّ أرادَ أن يُزيل النعمةَ عنِّي وعنك، وأنتَ وليُّ عهدي بعد ابني، والأمرُ صائرٌ إليك، فخذ عبدَ الله بن عليّ فاضرب عنقَه، وإيَّاك أن تَخُورَ أو تضعف، فينتقضَ عليَّ ما دبرتُ لك. ثمَّ مضى أبو جعفر إلى الحجّ، وكتبَ إليه من الطريق يقول: يا عيسى، ما فعلتَ في الأمر الذي أُوعِزُ إليك فيه؟ فكتبَ إليه قد أنفذتُ ما أمرتَ به، فلم يشك أبو جعفر أنَّه قتلَه، وكان عيسى قد سترَ عبد الله بن عليّ، واستشار كاتبه يونس بن فروة[2] وابن شبرمة وابن أبي ليلى، فقال: إنَّ هذا الرجل قد دفعَ إليَّ عمَّه سرًّا، وأمرني بقتلِه، فماذا ترون؟ قال يونس: إنه أراد أن يقتلَه ثمَّ يقتلك بعده، قال فما ترى؟ قال: استره في منزلك بحيث لا يراه أحد، فإن طلبه منك، فادفعه علانيةً، ولا تدفعه سرًّا، وأمَّا ابن أبي ليلى فقال: امض لما أمرك به، وأمَّا ابنُ شبرمة فإنَّه قال: لا تقتله فيقتلَك ويستريحَ منكما جميعاً.

فلمَّا قدم أبو جعفر من الحج دسَّ إلى عمومته من يحرِّكُهم على مسألته في عبد الله، فجاؤوا إليه واستعطفوه وسألوه الرحم، فأجابَهم ودعا بعيسى، فقال: يا عيسى، إنِّي

(١) انظر الأبيات في أشعار أولاد الخلفاء ص٢٩٨، وتاريخ دمشق ٣٦/ ٦٤٧. وما بين حاصرتين منهما.
(٢) في (ب) و(خ) بن أبي فروة. والمثبت من تاريخ الطبري ٨/ ٨، وتاريخ دمشق ٣٦/ ٦٥٦.

كنتُ لمَّا خرجتُ إلى الحجِّ دفعتُ إليك عبد الله يكون في منزلك، وقد كلَّمني فيه عمومتي، وقد أجبتُهم إلى سؤالهم فيه، فسلِّمه إليهم، فقال: ألم تأمرني بقتله؟! وقد امتثلتُ أمرك، فقال: ما أمرتُك إلَّا بحبسِه، قال: هذا كتابُك من الحج، فقال: كذبت، فقال: والله ما كذبت، وما الكذبُ من شيمتي، ولقد قلتَ لي كذا وكذا في ليلة كذا وكذا، فقال أبو جعفر لعمومته: إنَّ هذا قد أقرَّ بقتل أخيكم، وادَّعى أنَّني أمرتُه، وما أمرته، فخذوه واقتلوه، فقاموا إليه وخرجوا به إلى ظاهر القصر ليقتلوه، فلمَّا رأى أنَّه مقتولٌ، قال: ردُّوني إلى أبي جعفر، فردُّوه فقال: إنَّما أردتَ أنْ أقتلَه ثم تقتلني، وقد انعكس عليك الأمرُ، هذا عمُّك حيٌّ، فتسلَّمه، فأخذهُ أبو جعفر فحبسَه عنده في قصره، فوقع عليه البيتُ الذي كان فيه فمات.

وقيل: بنى له داراً وجعل في أساسِها الملح، وأطلقَ الماء في الليل على الأساسات، فذابَ الملحُ، فوقعت الحيطانُ عليه فمات.

وقيل: دفعَه إلى أبي الأزهر المهلّب بن عيسى[١] وقال: اقتله، فدخلَ عليه وهو نائمٌ فخنقَه، وكان إلى جانبه جاريةٌ، قال أبو الأزهر: فأردتُ خنقَها، فقالت: بالله يا أبا الأزهر قتلةٌ غير هذه، فما رحمتُ أحداً غيرها، فأدرتُ وجهي عنها، وأمرت من خنقَها، ووضعتها إلى جانبه في الفراش، ووضعت يديه تحتها كأنَّهما متعانقين، ثم هدمتُ البيت عليهما، ثم دعوت القاضي ابن عُلاثة والشهود، وقلت: سقطَ البيتُ عليهما، فشاهدوهما، ثم دفنتُهما.

ومات عبد الله وله خمسٌ وأربعونَ سنة.

وسأل أبو جعفر ابن عياش المنتوف، هل تعرف ثلاثةً أوائلُ أسمائهم عين، قَتلوا ثلاثةً أوائل أسمائهم عين؟ قال: نعم؛ عبد الرحمن بن ملجم قتل عليًّا عليه السلام، وعبد الملك بن مروان قتل عبد الله بن الزبير وسقطَ البيتُ على عمِّك عبد الله بن عليّ، فقال أبو جعفر: فسقطَ عليه البيتُ، فما ذنبي؟ قال: ما قلتُ إنَّ لك ذنباً.

وقيل: إنَّ الواقعةَ كانت مع أبي دلامة قال: وأنت أوَّلُ اسمك عين، قتلتَ عبد الله

(١) كذا في (ب) و(خ). وفي أنساب الأشراف: المهلب بن العبيثر. وهو الصواب.

ابن حسن، وعبدَ الرحمن أبا مسلم، ووقعَ البيتُ على عمِّك عبد الله بن علي، فقال له أبو جعفر: وما كان فيه؟ قال: ما أدري ولكنَّني أحببتُ إعلامك.

وقد قتل جماعةٌ أعمامَهم، منهم المنصور، والمعتضدُ غرَّق عمَّه أبا عيسى في الماء، وسَقى المعتضدُ عمَّه المعتمد السم، وكذا فعل جماعةٌ من ولاة المغرب، وقتل جماعة أولادَ إخوتهم، فأبو جعفر سمَّ محمد بن السفاح، والمعتصمُ قتل العباس بن المأمون، والقاهرُ قتل ابن أخيه [أبا] أحمد بن المكتفي بعصر خصييه(١).

أسند عبد الله بن علي الحديثَ عن أبيه وإخوته محمد وداود ابني علي(٢)، ورَوى عنه سلمةُ قاضي دمشق، والله أعلم.

❊ ❊ ❊ ❊

---

(١) انظر رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء لابن حزم ضمن مجموع رسائله ٢/ ٩٢.

(٢) في تاريخ دمشق ٣٦/ ٦٤٥ : حدث عن أخويه محمد وداود ابني علي.
ولم أقف على من ذكر أنه روى عن أبيه. بل روايته ـ كما في تاريخ ابن عساكر ـ عن أخويه عن أبيه، فالله أعلم. وانظر تهذيب الكمال ٢١/ ٣٥، وسير أعلام النبلاء ٥/ ٢٨٤.